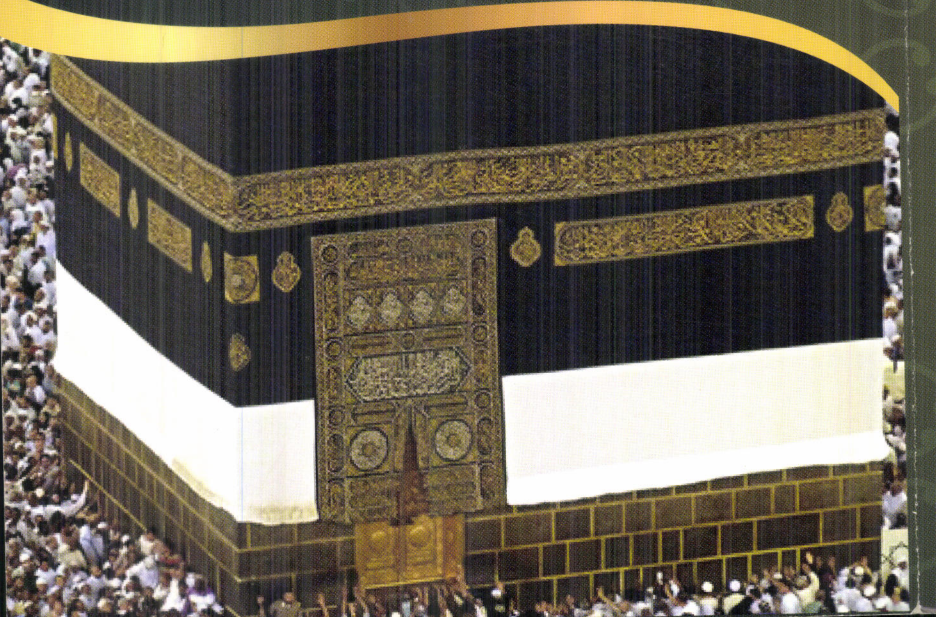




الاستعداد لرحلة العمر

إعداد | مكتبة الحرم المكي الشريف
نشر | إدارة المطبوعات والنشر



: ما هو يا أمي؟

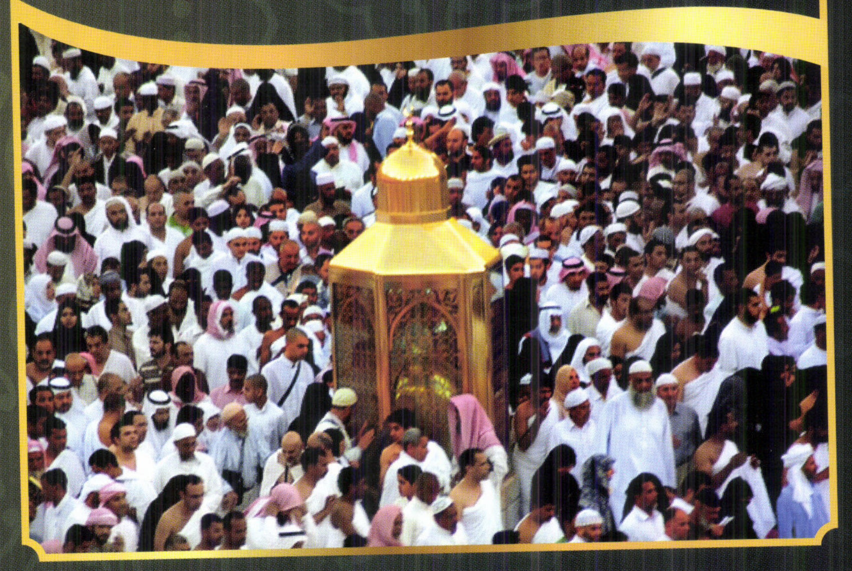
: يوم أتذكر معنى "لبيك اللهم لبيك" وأنه استجابة لأمر الله تعالى وإجابة لنداء خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأعلم يقيناً أني في لقاء مع ربي في هذه الرحلة الإيمانية العظيمة. وهو ما يجعلني أمتثل لأمر ربي بكل جوارحي وأتمسك بديني بقية حياتي؛ حتى ألقى الله تعالى يوم القيامة بصحف بيضاء طاهرة، كيوم مولدي.

: ما رأيكم أن نبدأ بأول درس عملي في الاستعداد لهذه الرحلة؟

: ما هو يا أبا صالح؟

: تدارس هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الحج؟

: توكلنا على الله.



: أيام قلائل وتطل علينا أشهر الحج الحجة المباركة بنسيمها ونفحاتها العطرة.

: أراك يا أبي تترقب شهر شوال على غير عادتك! لقد كنا في العام الماضي نترقب هلال عيد الفطر بالفرحة المتصلة بصيام رمضان. : أنسيتِ يا فاطمة؟! سوف نذهب معاً لأداء فريضة الحج هذا العام.

: آآآه!! كدت أنسى..

: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أراكما تتحدثان عن الحج؟

: هو كذلك يا عائشة.. لسنا بمفردنا.. جميع المسلمين الراغبين في الحج من كافة أرجاء المعمورة يتأهبون مثلنا مع بداية أشهر الحج.. شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة.

: لا زلت أذكر رحلتنا الأولى قبل مجيء الأولاد.. يا لها من رحلة إيمانية إلى المشاعر المقدسة، والأنس بالطاعة هناك، وطلب الرحمة والمغفرة من الله عز وجل، والبكاء من خشيته سبحانه.

: هل تذكرين يوم أبصرنا الكعبة للمرة الأولى والتقينا بإخوة لنا من ضيوف الرحمن.. وفدوا من كل مكان ليغسلوا أنفسهم من الذنوب ويعودون كيوم مولدهم؛ كما أخبرنا الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (من أتى هذا البيت فَلَم يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّه) . (رواه البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه).

مفتاح القبول

: هل استحضرتما شروط قبول العمل الصالح منذ الآن؟

: نعم يا أبا صالح فأنت تكرره علينا مراراً: الإخلاص لله تعالى، ومتابعة هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وبدونهما لا يقبل الله عمل أحد من عباده.

: أليس الوقت مبكراً على الذهاب إلى مكة يا أبي ؟

: كلا يا ابنتي.. استحضار النية الصالحة والاهتمام بقبول العمل الصالح قبل عقد النية به خير معين على القيام به كما يحب الله تعالى، ويحث صاحبه على تعلّم أحكام هذه العبادة والثبات عليها.

: صدقت يا أبا صالح فهذه الأعمال والطاعات هي التي تقربنا من رحمة الله تعالى والجنة، فلا أقلّ من أن نستعدّ لها بالنية الصالحة وتعلم العلم النافع لأحكامها وهدي النبي صلى الله عليه وسلم فيها.

الفرحة الكبرى

: ذكرتني يا أمّ صالح بما كان يقوله أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول: كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً من العمل، ألم تسمعوا قول الله عز وجل: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) . (المائدة:٢٧)، وما كان يقوله ابن دينار رحمه الله: الخوف على العمل أن لا يُتقبل أشدُّ من العمل. هل تعلمين يا فاطمة أثر هذا الاستشعار والاهتمام القلبي بالعبادة قبل أدائها؟

: أعتقد أن هذا يعين على إصلاح حال العبد أثناء أداء العبادة وبعد أدائها.

: ما شاء الله.. إجابة مسدّدة. نعم إنّ تذكّر جزاء الحج المبرور وأنّ العبد يرجع بعده كيوم مولده، لا توجد في صحيفة ذنب خير معين على الثبات بعد انتهاء هذه الرحلة المباركة والتمسك بالطاعة أكثر مما مضى. يكفي أن نتذكر قبل الذهاب للحج أن الله تعالى يتنزّل على أهل عرفة فيغفر لهم، وأنّ الشيطان يحزن حين يرى رحماتِ الله تعالى على عباده فنُدرك ما يجب علينا في هذه الرحلة العظيمة.

: إنها رحلة العمر حقاً يا ابنتي.. وفرحة لا تعادلها فرحة. وعلى الرغم من كل ما يكتنف الحج من مشاق فإني لا أزال أتذكر الباعث الذي يجعلني دائماً أشتاق لأداء الحج في كلّ مرة.

